

ولكن مسلمة بن عبد الملك لم يخرج في هذا الموسم لحرب الروم صائفاً ولا شاتياً، فقد كان عبد الملك من أصالة الرأي وحسن التدبير، بحيث رأى مُصَانَعَةً<sup>١٣</sup> جوستينيان الثاني قيصر الروم خيراً له في هذه الفترة التي تعصف فيها العواصف بالدولة الإسلامية، فصالحه على أن يؤدي إليه في كل جمعة ألف دينار؛ ليفرغ لتدمير قوة ابن الزبير، ويحطم الخوارج، ويرد كيد ابن عمه عمرو بن سعيد...<sup>١٤</sup>

وهدأت أمواج البحر، وسكن غبار البادية،<sup>١٥</sup> ولكن عتبة بن عبيد الله لم يعد إلى داره بالرقّة منذ كان ذلك الحديث بينه وبين أخيه النعمان، ولم يقف له أحد على خبر. وطال الانتظار بأهله حتى آب كل غائب، ولكنه لم يؤب، وهدأت الفتنة في الدولة الإسلامية أو كادت، وانقضى أمر ابن الزبير، واغتيل عمرو بن سعيد منافس عبد الملك على عرش بني مروان، واستتبّ لهم الملك، وعادت الصوائف والشواتي تغدو وتروح في البر والبحر، تغزو بلاد الروم فتصيب منها ما تصيب ثم تنوب، ولم يؤب عتبة بن عبيد الله!

وقال جيرانه وأهله: يرحمه الله، لقد آثر جوار أبي أيوب المضياف، فمات غازياً في بلاد الروم.

وبكت أمه ما شاءت، ثم فاءت<sup>١٦</sup> إلى الرضا بقضاء الله. وخلعت امرأته أحمرها وأبيضها ولبست الحداد، ولزمت دارها تراًم<sup>١٧</sup> طفلاً في حجرها، وطفلة في بطنها.

وقال أخوه النعمان لنفسه متأسياً:<sup>١٨</sup> نعم العزاء الصبر في الغازي الشهيد الغريب المطفل.<sup>١٩</sup>

<sup>١٣</sup> المصانعة: التقرب والتماس المودة.

<sup>١٤</sup> عمرو بن سعيد بن العاص: من سادة بني أمية، وكان له مطمع في الوصول إلى الخلافة، فاحتال عليه عبد الملك، فقتله ليثقي شر الفتنة.

<sup>١٥</sup> لا حرب في البحر ولا في البادية.

<sup>١٦</sup> فاءت: عادت.

<sup>١٧</sup> تراًم: تحنو وتعطف.

<sup>١٨</sup> معزياً نفسه.

<sup>١٩</sup> المطفل: أبو الأطفال.